

سلسلة : وُصُولُ التَّهَانِي بِتَفْرِيعِ أَشْرَطَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (6)

كَلِمَةٌ بِعَنْوَانِ سَنَوَاتِ خَدَاعَاتٍ

لفضيلة الشيخ /

محمد بن هادي المدخلي

- حفظه الله تعالى -

المُدْرَسُ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

تَفْرِيعٌ لِكَلِمَةِ أَتَقَاهَا عِبْرَةُ الْهَاتِفِ

(ليلة السبت 16 ربيع الآخر 1439 هـ)

(نسخة مخرجة الأحاديث)

بسم الله الرحمن الرحيم

...¹ ورحمة الله للعالمين ، وحجته على الخلق أجمعين ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين ، أما بعد .

فإننا نحمد الله سبحانه وتعالى - معشر الأحبة - على ما منَّ به من هذا اللقاء ، في هذه الليلة ؛ ليلة الاربعاء ، الموافق للسادس عشر ، ليلة السادس عشر من شهر ربيع الآخر ، عام تسعة وثلاثين وأربعمئة وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، نلتقي هذا اللقاء والذي قد عُنون له بـ " **سنوات خداعات** " .

ونسأل الله - جل وعلا - السلامة والمعافة ، كما نسأله - سبحانه وتعالى - العصمة من الزلل ، وأن يحفظنا من سيء العمل ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه .
أيها الإخوة في الله :

إنَّ هذا العنوان الذي اختير عنوان مناسب ، التذكير به ، والتحدث فيه ، في هذه الإحصار المتأخرة ، وفي هذه الأيام بالذات ؛ فإنه مناسبٌ جداً ، وقد وقع ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ؛ فإن هذا العنوان مأخوذ من حديث صحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، رواه عددٌ من الصحابة - رضي الله عنهم - .

وأحسنها وأمثلها حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في المسند وفي السنن ، أنه - عليه الصلاة والسلام - قال : " تأتي على الناس سنواتٌ خداعات ، يُصدَّق فيها الكاذب ، ويُكذَّب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويُخون فيها الأمين ، وينطق الرويضة ، قيل : يا رسول الله وما الرويضة ، قال عليه الصلاة والسلام : " الرجل التافه يتكلم في أمر العامة " .

¹ ما قبل هذا غير موجود في التسجيل .

وهذا عند الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - ¹، وهو حديث ثابتٌ بمتابعاته، بشواهد، وقد تكلم عليه مُحدِّث هذا العصر الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى - في سلسلته ²، ومن أراد أن يستكثر وينظر في الشواهد وفي الألفاظ فليرجع إلى هذا الكتاب، فإن الشيخ - رحمه الله - قد جمع فيه جمعاً طيباً مباركاً .

والشاهد من هذا قوله - عليه الصلاة والسلام - : " تأتي على الناس سنواتٌ خداعات ، يُصدَّق فيها الكاذب ، ويُكذَّب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويُخون فيها الأمين . . " هذان أمران .

والثالث : " . . وينطق الرويضة ، فقيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - : وما الرويضة ؟ قال : " الرجل التافه "

- يعني الحقير ، أو الذي لا يؤبه له - " يتكلم في أمر العامة " .

يعني في الأمر الذي لا علاقة له به ، ليس له أن يتحدث فيها ، وإنما يتحدث فيه فرسان هذا الشأن ؛ الذين يقودون الناس إما بالسياسة والرياسة ، وإما بالعلم ، والتوجيه ، والتأديب ، والإرشاد ، أمّا هذا الذي لا يؤبه له ، وليس له دخل في هذا فهذا هو الرويضة الذي يتكلم في أمر العامة ، وكأنه سائس الناس .

فهذا الذي أخبر به النبي - صلى الله عليه وسلم - قد وقع من سنين ، ولا يزال يتكرر في كل زمان ، بصورة أو بأخرى ، كل زمان يحدث فيه ، وكل مكان يحدث فيه بحسب حاله ، فهذا مما أخبر به - عليه الصلاة والسلام - بأنه سيقع في ما بعد ، ووقع كما أخبر - عليه الصلاة والسلام - .

وهكذا جاء اللفظ من حديث أنس - رضي الله تعالى عنه - ، بنفس الكلام : " تأتي على الناس سنواتٌ خداعات ، يُصدَّق فيها الكاذب ، ويُكذَّب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويُخون فيها الأمين ، وينطق الرويضة . . " فسئل ، فقال كما سمعتم قبل قليل : " الرجل التافه يتكلم في أمر العامة " ، فهذه السنون الخداعة هي بين يدي الساعة ، وهي من

¹ برقم (7912) .

² السلسلة الصحيحة (508/4) برقم (1887) .

علاماتها ، كما جاء أيضاً في بعض طرق حديث أنس بن مالك : " إن يدي الساعه سنين خداعة ، يُصدّق فيها الكاذب ، ويُكذّب فيها الصادق ، ويُخون فيها الأمين ، ويُؤتمن فيها الخائن ، وينطق الرويضة . . " إلى آخره .

وقد جاء بلفظ : " قبل الساعه " ، ما هو : " يدي الساعه " ، " قبل الساعه " ، وقبل الساعه هو بين يدي الساعه ، لافرق بين هذا وهذا ، فالمعنى واحد .

وجاء : " إن أمام الدجال سنين خداعة ، يُصدّق فيها الكاذب ، ويُكذّب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويُخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويضة . . " ¹ .

فقله : " يدي الساعه " أو " أمام الدجال " كذلك هو من علامات الساعة ؛ فإن الدجال من علامات الساعة الكبرى ، فيكون أمامه هذه السنون الخداعة ، التي يحصل فيها هذا الذي ذكره النبي - صلى الله عليه وسلم - : تكذيب الصادقين ، وتصديق الكاذبين ، واثتمان الخائنين ، وتخوين المؤمنين ، - نسأل الله العافية والسلامة - . فهذا إخبار من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، والمراد منه التحذير من أن تقع في مثل ذلك ، - نسأل الله العافية والسلامة - .

فإن هذا الحديث - حفظكم الله - دليل على اختلال الموازين ، في آخر الزمان - عياداً بالله من ذلك - ، فإن هذا الحديث يُخبر - كما سمعتموه - بفساد الأخلاق ، فساد أخلاق الناس ، وإلا لم تفسد الأخلاق لم يُكذّب الصادق ، ولم يُخون الأمين ، ولم يُؤتمن الخائن ، ولم يُصدّق الكاذب ، ولكن لما اختلت الموازين وانعكست حصل هذا ، وما ذلك إلا بسبب فساد أخلاق الناس ، فإذا فسدت أخلاق الناس فسدت موازينهم ،

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فكيف يُكذّب الصادق ، ويُخون الأمين ؟ كيف ؟

¹ رواه الإمام أحمد في المسند برقم (13298) .

وكيف يُؤْتَن الخائن وَيُصدَّق الكاذب ؟ ، هذه مصيبة ، هذا هو المنطق المعكوس - كما قلنا - : تصديق الكاذب ، وتكذيب الصادق ، هذا يعني أن أحكام الذين اختلت أخلاقهم تكون في آخر الزمان تدور مع الأهواء ، لا مع القواعد العلمية الشرعية ، ولا مع النصوص القرآنية ، ولا مع الأحاديث النبوية ، وإنما تدور الأحكام مع الأهواء - عياداً بالله من ذلك - ، تدور الأحكام مع أهواء الناس ، فمن أحبوه صدَّقوه لو كان كاذباً ، ومن أبغضوه كذَّبوه ولو كان صادقاً ، ومن أحبوه ائتمنوه ، وأظهروه للناس أميناً ولو كان خائناً ، ومن كرهوه وأبغضوه خوّنوه ، وأظهروه للناس خائناً ولو كان أميناً ، هذا والله هو المنطق المعكوس ، وما انعكست إلا بسبب فساد الأخلاق ، وهذه الأخلاق استحکم عليها الهوى ، - فنسأل الله العافية والسلامة - .

فهذه السنين أو هذه السنوات الخداعات هذا وصف لهذه السنين المراد به أهلها ، كقوله تعالى : ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: 82] ، فإن سؤال القرية المراد به أهل القرية ، وهذا معلوم ، وهذا أسلوب في لغة العرب .

ولا يقال إن هذا فيه كما يقول بعض الذين يحرفون الكلم عن مواضعه يقال فيه إنه فيه مجاز ، ويستدلون به على فساد آيات الصفات ، هذا أسلوب من أساليب العرب معلوم ، إنك إذا قلت : (اسأل القرية) الناس يعلمون أنه المراد به السؤال لأهل القرية .

فالوصف لهذه السنين هو لأهلها - نسأل الله العافية والسلامة - ، فالناس تارة يوصفون ويضافون إلى الزمان ، وتارة يضافون إلى المكان ، فالزمان محل لأفعالهم ، كما هو هنا في الحديث سنوات خداعة ، والمكان محل لأفعالهم وأعمالهم وأقوالهم ، فهذا الحديث فيه دليل على أن الناس تنتكس فطرهم - والعياد بالله - في آخر الزمان ، فيكون الحكم منهم إنما يدور مع أهوائهم ، فإذا هووا الشيء السيء جعلوه حسناً ، وإذا أبغضوا الحسن جعلوه رديئاً - عياداً بالله من ذلك - ، فهذا كالتفسير - والله أعلم - لما تقدم في أول الحديث .

فلذلك ينبغي لنا - معشر الأحبة - أن نعرف أمر الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فنقفوهما ولا نتعداهما ، ولا

تتبع الناس ، وإنما نوطن أنفسنا على معرفة الحق ، ومعرفة الصدق ، ومعرفة الحق ، ومعرفة أهله ، ومعرفة الصدق ، ومعرفة أهله ، ونكون معهم ، كما أمر الله - جل وعلا - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: 119] ، فهذا من فساد أحوال الناس في آخر الزمان ، فتدخل أهوائهم في قضايا الأمة ، ويتدخل هؤلاء أصحاب الأهواء والجهال والقاصرون والتافهون يتدخلون في أحوال الناس فيقلبون الموازين ، لأن الأقوال هذه لا تصدر من عقلاء ، ولا من علماء ، وإنما تصدر من سفهاء ، وتصدر من جهال ، فإذا صدرت من السفهاء والجهال حصلت هذه النتيجة - عياذاً بالله من ذلك - وهكذا إذا صدرت عن هوى أيضاً حصلت هذه النتيجة ولو كان الرجل عاقلاً ، إذا صدر هذا عن هوى - نسأل الله العافية والسلامة - ، فإنه سيقع في مخالفة النص ، ولو كان أظهر ما يكون ، فهذه سنين أهلها وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف ، - فنعوذ بالله من ذلك - .

فهذه صور تدل على فساد أحوال الناس في هذه الأزمان المتأخرة ، وهذه الأمور مدركة ومشاهدة - معشر الأحبة - وحاصلة ، وحصلت قبلنا بأزمان متطاولة من بعده - عليه الصلاة والسلام - ومن بعد القرون المفضلة ، وهكذا هي تتكرر مرة بعد أخرى ، فحصلت في الماضي ، وحصلت فيما نحن فيه في هذه الأيام وستحصل بعدنا ، فهذه الأحاديث التي ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها هذا الكلام وهذه الأوصاف هذه تدل - نسأل الله العافية - على فساد الناس :

إن الزمان وما يفنى له عَجَبٌ أبقى لنا ذنباً واستأصل الرأسُ

إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناسُ

فساد الناس ، هذا هو الفساد الصحيح ، الذي تشرح بها هذه الأحاديث ، وإلا فالزمن إنما هو ظرفٌ لحصول هذه الأمور فيها بتقدير الله - جل وعلا - وإرادته - سبحانه وتعالى - ، فهذه الأمور المدركة التي نحسها تماماً إنما بسبب ما ذكرته لكم ، بسبب الجهل ، وسبب الهوى ، - عياذاً بالله - ، فيحصل الفساد ، وتضطرب الأمور ، وتختل الموازين ،

فالكذاب يصبح عند الناس صادقاً ، والصادق يصبح عند الناس كاذباً ، والخائن الذي لا يُؤْتَن على نواة يصبح عند الناس أميناً ، والأمين الذي لو أُمن على بين مال بيت المسلمين لكان أميناً ، ما نقص منه مثقال ذرة ، يُصبح عند الناس خائناً ، - نعوذ بالله من ذلك - ، نسأل الله العافية والسلامة .

وإذا كان كذلك حصلت الطامة الثالثة ، ألا وهي ظهور الرويبضات ، والرويبضات كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " الرجل التافه يتكلم في أمر العامة " يعني الذي لا يتكلم فيه إلا ذوو الرياسات ، وذوو القيادات ، وتوجيه الناس ؛ من أهل القيادة السياسية ، والقيادة العلمية الشرعية هم الذين يسوسون الناس ، ويُوجِّهون الناس ، أما الذي لا علاقة له بذلك فهذا لا دخل له في هذا ، ولكن يحصل هذا .

وقد حصل في هذه الأيام بكثرة ، ولا سيما مع وجود هذه الوسائل ؛ وسائل التواصل التي يسمونها ، وهي في الحقيقة شر ، كُثر شرها - عياداً بالله من ذلك - ، فأصبح الرويبضات يتكلمون من خلف الستار - عياداً بالله من ذلك - ، ويُلبسون على الناس ، ويُظهرون الحق في صورة الباطل ، والباطل في صورة الحق ، والصدق في صورة الكذب ، والكذب في صورة الصدق ، والخائن في صورة الأمين ، والأمين في صورة الخائن ، والكذاب في صورة الصادق ، والصادق في صورة الكاذب ، ويُخرجون الجاهل في صورة العالم ، ويُتَبِّحون العالم حتى يجعلونه في صورة الجاهل ، وهكذا .

والناس لا يعرفون هؤلاء ، لا يعرفون إلا كتاباتهم ، كما قلت أكثر من مرة ، يظنونهم علماء في هذه المواقع وهم في الحقيقة جهال ، - نسأل الله العافية والسلامة - ، أوتوا جهلاً مركباً ، لا يدري ، ولا يدري أنه لا يدري ، هذه هي المصيبة ، وابتلي الناس بهم ، ويظنون أن خلف هذه المواقع الطَّنَّانة ، والأسماء الرنَّانة ورائها علماء ، أو ورائها مشايخ علم ، وهم والله ليسوا كذلك ، بل هم كذبة ، بل بعض الناس يظهر كذبه ومع هذا تجد الناس يُهرعون إليه ، ولا يعتبرون ، فهذا والله هو البلاء ، يظهر كذبه كالشمس واضحة جلية ، ليس دونها سحاب ، وكالمطر ليس دونه سحاب ؛ يراه الناس جميعاً ، ومع ذلك يُهرعون إليه ، يظهر الكذب على الكاذب ظهوراً بيناً لا خفاء فيه ، ولا لبس ، ومع ذلك تجد من يؤيده وينصره ،

أُوْدِافِعْ عَنْهُ ، وَشَكَرْهُ ، وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ ، - نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ - ، وَلَكِنْ صَدَقَ رَبُّنَا - جَلَّ وَعَلَا -
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]

فهؤلاء - نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - إِذَا عَمِيت قُلُوبُهُمْ فَلَا حِيلَةَ فِيهِمْ ، فَأَنْتَ حِينَمَا تَخَاطِبُهُمْ كَأَنَّكَ لَا تَخَاطِبُهُمْ ، كَمَا قِيلَ :

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تَنَادِي

وَلَوْ نَارًا نَفَخْتُ بِهَا أَضَاءً وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفَخُ فِي رِمَادٍ

كَمَا قَالَ - جَلَّ وَعَلَا - : ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: 14] ، صَارُوا كَأَصْحَابِ الْقُبُورِ ، - عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ

- ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: 14] ، وَهَؤُلَاءِ هَكَذَا ، كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ ، لَوْ سَمِعُوا وَلَوْ أَخْبَرْتَهُمْ مَا اسْتَجَابَ لَكَ

، وَلَمَّا قَبْلَ مِنْكَ ، هَذِهِ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ ، - نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ - ، وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى فُسَادٍ

هَؤُلَاءِ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، فُسَادٌ عَامَةٌ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، وَإِلَّا فَأَهْلُ الْعِلْمِ وَأَهْلُ الدِّينِ وَأَهْلُ الْفَقْهِ وَأَهْلُ التَّقَى لَا يَصْدُرُ

مِنْهُمْ هَذَا ، هَؤُلَاءِ يُحَكِّمُونَ الشَّرِيعَةَ ، وَيُحَكِّمُونَ النُّصُوصَ ، عَلَى أَنْفُسِهِمْ .

وَرُبَّمَا حَصَلَ ذَلِكَ مِنْ بَعْضٍ مَنْ تَسْتَعْرِبُ مِنْهُ هَذَا ، وَتَسْتَنْكَرُ مِنْهُ هَذَا ، وَتُجَلِّهُ عَنْ هَذَا ، وَمَا هَذَا إِلَّا بِسَبَبٍ صَحْبَةٍ

الصَّاحِبِ ، فَإِنَّهُ قَدِيمًا قِيلَ : (الصَّاحِبُ سَاحِبٌ)

وَلَا تَصْحَبُ الْحَمَقَى فِذْوَ الْجَهْلِ إِنْ يَرُمُ صَلاَحًا لِأَمْرِيَا أَخَا الْحَزْمِ يُفْسِدُ

يُفْسِدُ وَهُوَ يَرِيدُ الْإِصْلَاحَ ، بِسَبَبٍ مَاذَا ؟ بِسَبَبِ مُصَاحَبَتِهِ لِلْحَمَقَى ، - نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ - فَمَنْ صَاحِبُ

الْحَمَقَى جَرُّوهُ إِلَى الْبَلَاءِ ، - نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - .

فَإِذَا عَجَزَ الْإِنْسَانُ عَنْ مُصَاحَبَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَأَحَاطَ بِأَهْلِ الْبَاطِلِ ، وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَاطِلِ ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَفْعَلُ فَعْلَ

الْحَمَقَى ، - نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - ، فَالْحَمَقُ هُوَ ارْتِكَابُ الْخَطَا مِنْ الْأَحْمَقِ ، هُوَ ارْتِكَابُ الْخَطَا عَلَى بَصِيرَةٍ يَظُنُّهُ صَوَابًا ،

وَذَلِكَ لَضَعْفِ عَقْلِهِ ، وَقِلَّةِ عِلْمِهِ .

وقيل أن : (الحق : هو وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه) ، - نسأل الله العافية - .

وقيل أن : (الحق : استقباح ما يستحسنه العقلاء) ، فلذلك صاحب الجهل ، الجاهل إذا أراد أن يصلح وصحب

هؤلاء فإنه يفسد منح حيث يظن أنه يصلح ، - نسأل الله العافية - .

ولهذا جاء عن علي - رحمه الله تعالى ورضي عنه - كما هو مشهور عنه حينما قال : (لا تؤاخي الفاجر فإنه يزين لك

فعله ، ولا الأحق فإنه يجهد نفسه لك ولا ينفعك ، وربما أراد أن ينفعك فضرك ، فسكوته خير من نطقه ، وبعده خير من

قربه ، وموته خير من حياته ، ولا تصحب الكذب ، فإنه لا ينفعك منه عشرة ، ينقل حديثك ، وينقل الحديث إليك ، وإن

تحدث بالصدق لا يصدق) ، - نعوذ بالله من ذلك - ، هذا هو الكذاب ، وهذا هو الأحق ، ومن اصطنع معروفاً إلى

أحمق فإنه ستكون عاقبته الندم ، وهكذا من صاحب الأحق فإن عاقبته ستكون إلى ندم ، ومن صارم الأحق فإنه

يوفق ويسلم ، ولهذا جاء في الحكم : (صارم الحق فليس له خير من الهجران)

ويروى عن الثوري - رحمه الله - في هذا كلام مشهور في الحمقى قال : (هجران الأحق قرينة إلى الله تعالى) .

هذا مروي عن سفيان الثوري يقول - وهو مشهور عنه - : (هجران الأحق قرينة إلى الله) .

ومعروف في قصيدة صالح بن عبد القدوس البيت المشهور :

ولئن يعادي عاقلاً خير له من أن يكون له صديق أحمق

ولئن تعادي عاقلاً خير لك من أن يكون صديق أحمق

اتق الأحق لا تصحبه إنما الأحق كالثوب الحرق

فهو أن رقعة من جانب . . . عاد منهون سريعاً فانحرق

فالعاقل يتعد عن صحبة هؤلاء الحق ؛ فإنهم يلبسون عليه ، ويجرّونه إلى البلاء ، وهو يحسن الظن بهم ، فرمما انخدع ،

والواجب عليه إن جاءه الناصح أن يتعظ ، فمثل هذا الأحق البليد والله يسوؤك بقربه منك ، ويسوؤك بحمقه ، من

أنت ؟ ربما أثر فيك في السنة العامة .

فالواجب عليك أن تكون مع أهل الإيمان ، وأن تكون مع أهل الصدق ، كما قال جل وعلا - : ﴿ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: 62] .

وكما قال جل وعلا - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: 119] ، وكما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " عليكم بالصدق ؛ فإن الصدق يهدي إلى البر " ¹ .

فهؤلاء الحمقى قد يجرون العاقل إذا أحسن الظن بهم وهو لا يعلم فيوقعونه في البلاء - عياداً بالله من ذلك - ، ومن يثق بهؤلاء يوقعونه في الحماقات التي تُضحك عليه العقلاء ، ويستنكرها منه عامة الناس ؛ لأنه لا يرى وهم يرون ، فيوقعونه ولو كان عاقلاً ، وهذا بسبب المؤاخاة ، وقديماً قيل :

ولا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى حليماً حين أخاه

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه

وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه

فالواجب على صاحب العلم ، والواجب على طالب العلم ، والواجب على العاقل ، والواجب على صاحب الدين والتقى .

والواجب علينا جميعاً : أن نصون أنفسنا حق صيانتها ، فنحفظها عما يُنقصها ، ونحفظها عما يُعيرها به الناس ، فإن للعلماء وإن للحكماء وإن للعقلاء في صفوف الناس مكانة ، فينبغي لهم أن يحفظوا هذه المكانة ، ولا يُمكنوا من أنفسهم هؤلاء ، وذلك لأن العلم الصحيح والعقل الصريح عصمة - بإذن الله تبارك وتعالى - .

¹ رواه البخاري في " صحيحه " برقم (6094) ، ومسلم في " صحيحه " برقم (2607) .

فإذا كان ذلك فالواجب على كل عاقل أن يحترم نفسه ، وأن يحفظها من مصاحبة هؤلاء الحمقى ، الذين يضررونه وهو لا يحس بضررهم ، والناس سيرون ضررهم ، والناس يرون أثرهم القبيح ، - فنسأل الله العافية والسلامة - .

فالكذب قد يقع فيه الإنسان بسبب صديقه ، أو بسبب صاحبه الذي يَقلب له الأمور ، وإن كان هو ليس بالكذاب في نفسه ، لكنه تُقلب عليه الأمور فيقع في الكذب وهو لا يعلم ، بسبب إحسانه الظن بهؤلاء الكذابين .

فالواجب على صاحب الدين : أن يسلك مسلك الورع ، وأن يتبع الصدق ، أن يحذر وأن يكون مع أهله ، وأن يحذر الكذب ، وأن يفارق أهله ؛ لأن الشرع لا يُجوز له ذلك ، كما أن العقل لا يُحسن له ذلك ، فالشرع أيضاً لا يُجوز له ذلك ، فالمرءة كما أنها مَناة من الكذب هي باعثة على الصدق ، وإذا كانت مَناة من الكذب ، وباعثة على الصدق في نفس الإنسان فالواجب عليه أيضاً أن يحفظ نفسه من أن يصاحب الكاذبين ويصدق الكاذبين ، أو يصاحب الخائنين ، ويركن إلى الخائنين ، كما قال الله - سبحانه وتعالى - لرسوله صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ

خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء : 107]

فالوجب على العبد أن يُعوّد لسانه قول الصدق ، ويصحب أهله ، ويحذر الكذب ويحذر أهله ،

عوّد لسانك قول الصدق تحط به . . . إِنَّ اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضي ما سننت له . . . فاحتل لنفسك وانظر كيف ترتاد

فالكذب خصلة خبيثة ، وهو من أفجر الخصال ، فإذا صدق أهله ضاعت الأمور واختلطت الموازين ، - نسأل الله العافية والسلامة - .

فمن استحل رضاع الكذب عسرَ فطامه ، يصعب عليك أن تُؤبه من كذبه ، فالواجب أن تبعد عنه ، وأن تنأى عنه ، وأن تهرب بنفسك عنه ، وألا يكون جليساً لك ، وألا يكون صحيباً لك ، وألا يكون عشيراً لك ؛ حتى لا تقع في مثل هذه المناهي التي نهى عنها النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فتكون مع الكذابين فتصدقهم ، ومع الخائنين فتأمنهم ، وكم نقل

الكذّابون من الأخبار الكاذبة ، وهم خَوْنَةُ كَذْبَةٍ ، فانخدع بهم من انخدع ، فائتمنهم على الحديث فصدّقهم فوقع في البلاء - عياداً بالله من ذلك - ، وانما يكشف عن هؤلاء الكذّابين ويفحص عن أحوالهم ، ويبين أحوالهم مَنْ أثار الله بصائرهم ، ووفّقهم سبحانه وتعالى ، رزقهم العلم النافع ، ووفّقهم سبحانه وتعالى لتطبيق هذا العلم على قواعده ، وطردها في كل زمان ومكان ، وعلى الناس جميعاً .

أما نحن اليوم فنرى الصادق أصبح كاذباً والكاذب أصبح صادقاً ، وللأسف بل وبعض الناس يسعى في نصرة الكاذب ومحاربة الصادق ، أي اختلال بعد هذا - معشر الأحبة - ؟ أي اختلال ؟

الصدق توأمه الوفاء ، والكذب توأمه الخيانة - عياداً بالله من ذلك - ، فلذلك تجد الصادق دائماً وفياً ، ويتحلى بصفة الوفاء ، والكاذب دائماً خائناً ، ويتحلى بهذه الخصلة الخبيثة القبيحة .

والصبر دائماً مع الحلم ، فهما توأمان ، وفيهن تمام كل دين ، وصلاح كل دنيا ، فمع الصدق يحصل الوفاء ، ومع الصبر يحصل الحلم ، هذا وهذا متلازمان ، وهذا وهذا متلازمان ، وأضداد ذلك هي أسباب الفرقة ، ضد الصدق الكذب ، وضد الصبر الطيش والخفة والعجلة ، وعدم الأناة ، فهذه - نسأل الله العافية - أصل كل بلاء ، فما كَذَبَ أَحَدٌ قط إلا لأنه لم يعرف قدر نفسه ، فلم يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه عنده ، وإلا لعلم قدر نفسه لما وقع في الكذب ، فإنَّ مَنْ استحلّ رضاع الكذب - كما قلنا - يعسر حينئذٍ فطامه - عياداً بالله من ذلك - .

وهكذا مَنْ استحلّ الخيانة فإنه - والعياذ بالله - قلَّ أن تجده أميناً ، والله - سبحانه وتعالى - قد قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء: 107]

قال - جل وعلا - : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ [يوسف: 52] ، - عياداً بالله من ذلك - ، فكيدهم مهما كادوا مكشوف بإذن الله - تبارك وتعالى - .

فعلى العاقل أن يتأمل في هذا معشر الأحبة وأن يطبق النصوص ولا يتعجل ، ويصبر ، فإن عاقبة قصيرة وحبل الكذب

قصير، وهكذا الحياة عاقبتها إلى انكشاف، لأن الله ﴿لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: 52] .

والله - جل وعلا - ﴿لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: 107] .

فإذا كان كذلك وصبر وصابر واحتسب الأجر عند الله واستمر في كونه مع الصادقين، وتأيده للصادقين، ونصرته للصادقين فيوشك أن يكشف الله - سبحانه - وتعالى كذب الكاذبين، وخيانة الخائنين، لأن الله - جل وعلا - يقول: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: 52] .

فيا - معشر الأحبة - : علينا جميعاً أن نتصف بالصدق في أنفسنا وعلينا جميعاً أن نلتزم بالصدق مع من نعاشره، في أمور ديننا ودنيانا، فإن من يكذب فقد هانت عليه نفسه،

لي حيلة فيمن ينم . . . وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقول . . . فحيلتي فيه قليلة

فمن هانت عليه نفسه هو الذي يقع في الكذب، وكما قلت لكم - قبل قليل - أعود وأُتَبِّه: بعض الناس يقع في الكذب وليس هو بالكذاب، ولكن لروايته عن الكذابين، (إنكم لتحدثون غير كاذبين، ولكن اتهم من حدثكم)، فالبلاء يكون حينئذ في الناقل، والبلاء يكون حينئذ في الجالب للأخبار .

فإذا صاحبت هؤلاء فإنك تردى بسببهم، وتتردى بسببهم، - عياذاً بالله -، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -
¹: " مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك "، أي يعطيك هدية، " وإما أن تتباع منه " : تشتري منه، " وإما أن تجد منه ريحاً طيباً " : فإما أن يعطيك هدية ابتداءً هو، فيعطيك من المسك الذي عنده، وإما أن تشتري من المسك الذي يبيعه، وإما أن تجد الرائحة طيبة، فإما أن يُهديك، يحسن إليك صاحب الأخلاق الطيبة بتسديك، والمشورة، والإرشاد إلى ما هو نافع لك في دينك ودنياك، هذه هي الحذوة

¹ رواه البخاري في " صحيحه " برقم (5534)، ومسلم في " صحيحه " برقم (2628) .

التي يعطيك إياها ، هذه هي الحِذِيَّة التي يعطيك إياها ، والهبة التي يعطيك إياها ، وإما أن تتباعد منه : يعني تسأله أنت ، أو تستشير أنت ، فيفتح الله - سبحانه وتعالى - عليه بالخير فيشيرك ، ويرشدك ، ويدلك إذا سألته ، وإما أن تجد الريحة الطيبة ، يعني إذا كان لا هذا ولا هذا فمجرد مجالستك له تأتيك الرائحة الطيبة ، فالمجالسة المراد بها هنا المصاحبة ، فإذا صاحبت صاحب الأخلاق الحسنة قيل فلان صاحب فلان ، فهذه السمعة الطيبة هي الريحة الطيبة ، يقال صاحب فلان ، جليس فلان ، فيُنسب إليه ، فيثق الناس به ، ويحبونه ، لأن فلاناً صالح ، ولا يجالسه إلا الصالحون ، ويتفحص جلسائه ، فحينئذٍ ينتفع الناس ، وينتفع الجالسون إليه بالصحة والجلوس إليه ؟ .

والعكس بالعكس تماماً ، نافخ الكير : إما أن يُحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة ، والتعبير بالثياب المراد بها : الدين هنا ، فحق الثوب حق الدين ، صاحب الرائحة الخبيثة يعرف صاحب الأخلاق الخبيثة ، يحرق دينك فإذا صاحب الفاسق فإنه يدعوك ، ويُحسن لك فسقه وفجوره حتى تقع فيه ، وإما أن يُحرقك بالرائحة الخبيثة ، فيُقال هذا فلان صاحب فلان الفاجر ، صاحب فلان الفاسق ، صاحب فلان الكذاب ، صاحب فلان الماجن ، وهكذا ، فيلحقك من الضرر في السمعة ما يلحقك بسبب الصحبة له ، فهذه الصحبة لها بمثابة الريحة الخبيثة ، السمعة الخبيثة هي بمثابة الريحة الخبيثة - فنسأل الله العافية والسلامة - .

فمن صاحب الاشرار واستنام إليهم جروه إلى البلاء ، وقديماً قيل :

من استنام إلى الاشرار بات وفي قميصه منهم صل وثعبان

- عياداً بالله من ذلك - ، فيا - معشر الاحبة - الواجب علينا أن نتفكر ، وأن نتدبر ، وأن نتأمل ، وأن نعمل القواعد

الشرعية ، والأدلة الشرعية كتاباً وسنة ، في قياس الناس ، فإنها هي المقياس الذي لا يختل ، وهي الميزات الذي لا

يطيش ، وأتم إذا نظرت هذه الأيام ترون طيشاً في الموازين ، وترون تطفيفاً في الكيل ، طيشاً في الموازين عجيب ، وترون

تطفيفاً في الكيل عجيباً غريباً ، - نسأل الله العافية والسلامة - .

وكما قيل : (واقع الحال يغني عن كثير من المقال)

فيا - معشر الأحبة - أوصيكم ونفسي بالالتزام بكتاب الله ، وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأن نكون مع الصدق وأهله ، مع الأمانة وأهلها ، وأن نحذر الخَوَنة ، وأن نحذر الكَذَبة ، وأن نحذر الرويضة ، وأن نحذر هؤلاء التافهين الذين يتصدرون وليسوا بشيء ، ويخدعون الناس ، ويورطونهم ، ويوقعونهم ، - نسأل الله العافية والسلامة - .

مَنْ كان كذلك يجب أن يُحذر ، فالعلم هذه ثمرته ، وهذه فائدته - معشر الأحبة - : هي تطبيقه ، والعمل به ، فإذا جاءت الفتن تظهر قيمة العلم ؛ وذلك بتطبيقه ، على الأحداث وتطبيقه على الأقوال والأعمال ، فحينئذٍ من طَبَّق العلم وعمل به فإنه باذن الله - تبارك وتعالى - لا تعصف به العواصف ، ولا تهزه الهزات ، مهما تعاظمت هذه الهزات .

نسأل الله - جل وعلا - أن يثبتنا وإياكم جميعاً بقوله الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ، وأن يرزقنا وإياكم جميعاً الفقه في الدين ، والبصيرة فيه .

كما أسأله - سبحانه وتعالى - أن يعيذنا وإياكم من مضلات الفتن ، وأن يربط على قلوبنا وقلوبكم جميعاً بالتمسك بالسنن ، وأن يصرف عنا وعنكم وعن سائر إخواننا المسلمين في كل مكان كل سوء وبلية ، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، حكماً ومحكوماً ، إنه جواد كريم .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

الأسئلة¹ :

السؤال الأول : ما موقف طالب العلم السلفي من تعارض الجرح والتعديل في شخص أو جماعة ما ؟

الشيخ : الحمد لله ، هذا الأمر - والله الحمد - قد بينه أئمة أهل العلم ، بينه علماء الحديث بياناً شافياً ، والكلام هنا ليس في مسألة البيان ، ولكن الكلام في مسألة التطبيق ؛ إذا تعارض الجرح والتعديل فالجرح مقدم ، فإذا قام موجب

¹ الأسئلة بصوت الأخ المقدم لهذا الاتصال .

يوجب الشك والريبة طلب التفسير؛ فإذا فسر الجرح فإنه حينئذٍ مقدم على التعديل، ولو كان المعدل من كان .
وقد سمعتم وقرأتم مقالات وكلمات جميلة طيبة جداً مدققة ومحقة لشيخنا ووالدنا الشيخ ربيع - حفظه الله تعالى -
فإنه قد بين هذا في فتن سابقة ماضية، فأهل الفتن يستجلبون التزيكات ويستجلبون الشهادات والثناء عليهم من بعض
أهل العلم الذين لا يعرفونهم وهم معذورون، أو يخذعونهم ويغشونهم، والعالم مهما بلغ من العلم هو عالم بشر؛ إنما
يقضي على نحو مما يظهر .

والشيخ قد بين هذا - حفظه الله - يقول الرجل يصحبي سنة وستين أشهد له على ما ظهر منه .
فإذا جاء الجرح بزيادة في جرحه فإذا جاء الجرح وجرح فإن معه زيادة علم، وإذا فسره وجب قبول تفسيره إذا كان
ممن يؤخذ عنه ومن المتأهلين فيجب قبول قوله .

ولكن اليوم نجد العجب كما قلت لكم الشأن في التطبيق يوم أن كان الشيخ ربيع - وفقه الله - يواجه الحدادين والمأربين
والحلبيين، هؤلاء كانوا يحاربونه - وفقه الله - في هذا الباب، ويحاولون بكل ما يستطيعون استخراج التزيكات
والطعن في الشيخ والتصوير كأنما المسألة بينه وبينهم شخصية، والحق أنه على خلاف ذلك .

فمثل هؤلاء في ذلك الحين كان يقول فيهم الشيخ - وفقه الله - : لو جاءوا بتزكية فلان وفلان ما قبلنا ما دام الجرح فيهم
مفسراً، فهكذا اليوم بعض الناس أعمالهم وأقوالهم لا تركيهم لا تركيهم، تأبى أن تركيهم أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم
ومواقفهم، استبان للناس كذبهم، واستبان للناس تلبيسهم، واستبان للناس تدليسهم، ويُجرِّحون بالجرح المفسر،
وتقام عليه الأدلة التي هي أظهر من الشمس، ومع ذلك يريدون أن يطمسوا هذا كله .

وكما قيل : (إن الخرق أوسع من الرقعة) ، فإذا كانت الرقعة صغيرة والخرق كبير لا يمكن أن ترقعه لماذا ؟ لأن الناس
قد رأوا الكذب، ورأوا الصدق، وعرفوا الكاذب وعرفوا الصادق واستبان الأدلة فحينئذٍ الجرح مقدم .

وقد ضربت أنا بعض الأمثلة وهو موجود في كلامي وكلام غيري من المشايخ - والله الحمد - مسجل بين مسموع وبين

مطبوع .

ولقد ذكرت في لقاء من اللقاءات الإمام أحمد على جلالاته - رضي الله عنه ، وأكرم مثواه ، ورفع درجته في جنات النعيم ، ونظر وجهه في عليين رحمه الله - وقع له ما وقع فيه بعض الرواة ، محمد بن حُميد : أحسن به الظن للإمام أحمد وأثنى عليه ، فقيل لابن خزيمة : لما لا تروي عنه ؟ لما قال أبو بكر النيسابوري تلميذه ، وقد حسن من أمره الإمام أحمد ، قال : لو علم الإمام أحمد من أمره ما علمنا ما أثنى عليها أصلا ، ثم بعد ذلك تبين أمره للإمام أحمد - رحمه الله - ورجع عنه كما روى ذلك عبد الله ، وذكرتُ هذا فنفض يديه في آخر الأمر منه ، أبو زرعة وأبو حاتم كانا يطعنان فيه ، وقد ذكروا ذلك ليحيى بن معين ، ويحيى مع أحمد قد حسنوا الظن به وأثنوا عليه ، ومع ذلك أبو زرعة وأبو حاتم أعرف به ، فذكروا من حاله ، وذكروا له من الجرح المفسر : أنه كان يحدثهم بأحاديث يستنكرونها ، فينكرونها عليه ، فيأخذ القلم ، ويصوبها على ما يقولون ، فقال يحيى : بسّست الخلة هذه ، ونفض يده ، فهنا الكلام كلام ابن خزيمة ومن معه ، وكلنا يعلم من ابن خزيمة بجوار أحمد ؟ ومن هو أبو زرعة بجوار أحمد ؟ ولكن مع ذلك كانوا أعرف ، والقول قولهم .

وهكذا أبو داود - رحمه الله تعالى - لما سئل عن عبد الرحمن بن صالح العتكي البصري فقال عنه : " رجل سوء ، ذاك وضع كتاباً في مثالب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " .

وأحمد سئل عنه ، فقال : " رجل يحب آل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - ما عسى أن أقول فيه " ، ما كان يعرفه ، فعرفه الإمام أبو داود - رحمه الله تعالى - وقال : " رجل سوء خبيث وضع كتاباً في مثالب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - " ، وأبو داود تلميذ أحمد ، أحمد ما علم هذا ، وأبو داود علمه ، وهو تلميذه ، ثم بعد ذلك تبين الأمر للإمام أحمد ، فسأله سائل وقال : له يا أبا عبد الله ، رأيت هذه الأحاديث التي تروي ، وفيها بعض مثالب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ما ترى فيها ؟

قال: "أنا أقر هذا! أنا أقر هذا! " ذكر هذا الخلال في " السنة "، موجود، ولم يذكره الحافظ ابن حجر - رحمه الله -
لعله ما وقف عليه في ترجمة عبد الرحمن بن صالح في كتاب " تهذيب التهذيب "، وذكر التوثيق عن أحمد، ولم يذكر
الرجوع عن أحمد - رحمه الله - فله - رحمه الله وغفر له - ما وقف عليه في الكتاب .

فالشاهد: ذكر للإمام أحمد فقال: "أنا أقر هذا! " يعني يروي مثالب في أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -
هذه الآثار التي تروى قال: "أنا أنكر هذا في أفناء الناس - يعني غبراء الناس، وعامة الناس -، فكيف بأصحاب
رسول الله - صلى الله عليه وسلم -" فقالوا له: هذا عبد الرحمن بن صالح، هذا الذي أشار إليه أبو داود، فقال: "
بلغني ذلك عنه، فكلمته فأخذ يدافعني، ثم لقيته بعد فلم أسلم عليه، أو قال: سلم على فلم أسلم عليه"، نسيت
الآن، فرجع القول قول تلميذ أحمد قول أبي داود - رحمه الله - .

وهكذا الأمثلة على هذا كثيرة، فالشاهد: من أدلى بالحجة - معشر الأحبة - فالقول قوله، ولو كان المخالف في هذا
تلميذاً والموثق في هذا الشيخ، فهذه نماذج ذكرتها لكم الموثق أحمد والمعارض أبو داود وأيضاً ابن خزيمة وهكذا،
وهذا قد ذكر بعضه شيخنا الشيخ ربيع وفقه الله، وذكره العلماء غيره رحمهم الله تعالى جميعاً .

فكيف الآن يُدلى بالأدلة الواضحة في أن فلان كذاب، أو أن فلان كذاب، أو أن فلان عنده كذا وفلان عنده كذا
ويبقى على هذا!

وتعجبني كلمة أيضاً لشيخنا الشيخ ربيع وفقه الله قبل مدة قديمة زرنا شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله
وغفر له، علامة هذا الزمان، وكان الشيخ يتكلم عن بعض الناس فالشيخ شيخنا الشيخ ربيع وفقه الله سألته، وأنا
حاضر وليس لنا رابع إلا الله، أنا وهو والشيخ عبد العزيز، وقال له "يا شيخ عبد العزيز، هل جاءك السلفيون وأهل
الحديث بالهند ومن هنا وهنا يطلبون منك تزكية؟ قال: لا. قال له: ليش؟ هؤلاء الذين يأتون يطلبون منك التزكية و
أهل الحديث وأهل السنة السلفيون وأهل الحديث والسلفيون في كل مكان ما يطلبون منك ليش؟ قال: له ليش؟

قال : لأن أعمالهم تركيهم وهؤلاء أبت أعمالهم أن تركيهم فهرعوا إلى التزكيات ، والله الذي لا إله غيره قاله وأنا معه في ذلك اليوم .

فالشاهد : هذه التزكيات لا تغني إذا جاء الجرح مفسراً ، وهؤلاء تجدون منهم التناقض كانوا قديماً بعض هؤلاء المعاصرين اليوم في هذه الأيام كانوا قديماً يجرح العالم من غير دليل ولا تفسير ولا برهان ولا بينة ، ويوثق الآخر ، فيقال الجرح مقدم ، فيقولون - وهذه تويراتهم موجودة - يقولون الجرح مقدم على التعديل ولو عارضه ألف عالم ! موجود هذا في التويرات ولو عارضه ألف عالم ، الجرح مقدم على التعديل بدون تفسير ! ! .

ثم انتقلوا إلى المرحلة الثانية : بعض هؤلاء ، لا ، تأتي بالجرح فيقال هات الجرح المفسر تأتي بالجرح المفسر يقولون لا ، الكذب يحتاج إلى تفسير !

والحق يحتاج إلى التفسير !

والشر يحتاج إلى التفسير ! وهكذا .

فالآن لا بد من التفسير جاء الجرح المفسر ذهبوا إلى التزكيات ، ستعلمون حينئذ أن القضية ليست ميزانا علمياً ، وإنما القضية قضية هوى ، أهواء ، - عافنا الله وإياكم - ، ولكن الذي لا يعلم معذور ، وهؤلاء أصحاب تلبيس ، وهؤلاء تنطبق عليهم هذه السنوات الخداعات التي يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويخون فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، - نسأل الله العافية والسلامة - ، فهذا والله هو العجب .

وما كن نظن أنه سيأتي على الناس زمان يقال فيه مثل هذا القول ، فنسأل الله - معشر الأحبة - العصمة من الزلل ، والسلامة من الخطل في القول والعمل ، إنه جواد كريم .

وهذه القواعد إذا أُنقِتموها وطَبِّقتموها ظهر لكم النتيجة الصحيحة ، إذا طُبِّقَ التطبيق الصحيح ظهرت النتيجة والأثر الصحيح - يا ذن الله تبارك وتعالى - .

ويجب علينا جميعاً : أن يكون الحق هو المقصود لنا جميعاً ، وأن يكون الحق في صدورنا أعظم من الخلق ، ونسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يرزقنا ذلك ، إنه جواد كريم .

السائل : أحسن الله إليك ، يقول السائل : نرى بعض من يُقررون القواعد السلفية يخالفونها في أفعالهم وأقوالهم ، فما توجيهكم لهم ، ولطلاب العلم عموماً في مثل هذا ؟

الشيخ : . . ¹ القواعد السلفية ، فمن يخالفه بقوله وفعله - معشر الأجابة - لا نستطيع أن نكثر معه الكلام ، ولكن نقول الله : اتق الله - جل وعلا - فإنك ستُسأل في تطبيق الأقوال وتصديقها بالأفعال ، لا والله نستطيع أن نقول له أكثر من هذا .

السائل : أحسن الله إليكم شيخ .

الشيخ : وإياكم .

السائل : هذا أيضاً سؤال آخر - حفظك الله - يقول فيه : ما توجيهكم لبعض طلاب العلم الذين يرجعون في الأمور العظام لطلاب العلم أمثالهم ، ويتخذونهم مرجعاً في نفس هذا الباب ؟

الشيخ : أقول هذا من الخطأ والقصور ، فإن الأمور العظام إنما تعاد ويرجع فيها إلى من هم أهل الحل والعقد فيها ، وهم أهل العلم ، في أمور الشريعة الرجوع إلى أهل العلم ، الذين يعرفون الأمور ويعرفون الأحكام ، ويعرفون القواعد ، ويبنون عليها الأحكام ، وينزلون عليها الأحكام .

أما أن يكون الشاب مع الشاب ويتلقى عنه فهذا هو مصدر البلاء في هذا الباب ، وهو مصدر الانحراف ؛ لأن الشباب لا علم عندهم قد رسخ ، ولا تجربة عندهم أيضاً قد رسخت ، ولا دراية عندهم بالأمور .

فالواجب على الشباب أن يكون مرجعهم إلى أهل العلم ، الذين يقولون بكلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه

¹ كلام لم يظهر من التسجيل .

وسلم- ، ويطبقونه على حسب القواعد المعروفة التي قررها علماء الشريعة ، أصولاً ، في أصول الفقه ، وأصول الحديث ، وأصول الحديث ، وفروعاً ؛ في الفقه ، فإن هؤلاء هم الذين يُرجع إليهم ، هم الذين قال فيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - : " يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله " ¹ .

وهم الذين قال فيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - : " العلماء ومرتبة الأنبياء " ² .

هم الذين قال الله فيهم : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء : 83] الآية .

ولو ردوه إلى الله ؛ فالرد إلى الله مرد إلى كتابه .

﴿وَكُورِدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء : 83] .

ثم أخبر الله - جل وعلا - في آخر الآية ، قال : ﴿وَكُونُوا فِضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَرْحَمَةٌ لِّاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء : 83] .

وقال سبحانه : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى : 10] .

فالتنازع حين يحصل الرجوع فيه إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، هذين الأصلين ، والمحاكمون فيه هم أهل العلم ، الذين يعلمون كتاب الله وسنة رسوله ، ويستنبطون الأحكام منهما ، ويطبقون قواعد العلم في الاستنباط ، في أصول الفقه ، وفي أصول الحديث ، وفي أصول التفسير ، يطبقون هذه القواعد على نصوص القرآن والسنة ، فيستخرجوا منها الأحكام ، هؤلاء هم الذين يرجع إليهم ، أما الشباب فيما بينهم من كان دليله من كان مثله فإن حكمه سيكون خطأً وخلاًلاً ، فإن نتيجته ستكون خطأً ، وإن حكم صاحبه سيكون فيه خطأً .

¹ صححه العلامة الألباني في "مشكاة المصابيح" برقم (248) .

² رواه أبو داود في "سننه" برقم (3641) ، والترمذي في "جامعه" برقم (2682) .

إن الأمور إذا الأحداث دبرها دون الشيوخ ترى في بعضها خلافاً

فالواجب علينا جميعاً - معشر الأجلة - أن يكون الإرجاع إلى أهل العلم الذين يعرفون تطبيق هذه القواعد على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ؛ الذين قد عرفوا بالعلم ، والأمانة ، والديانة ، والصيانة ، والبعد عن الهوى ، واستصحبوا الخبرة ، والتجربة ، فحينئذ هؤلاء الذين تأتي أحكامهم - بإذن الله تبارك وتعالى - موفقة ، مُسددة ، والمعصوم من عصمه الله ، ونسأل الله التوفيق للجميع ، نعم .

السائل : أحسن الله إليكم ، هذا أيضاً شيخنا سؤال يقول فيه : ما موقف طالب العلم السلفي إذا خالف شيخه في مسألة ما الحق المقرر بالأدلة والقواعد الشرعية ، وهل يلزم من عدم الأخذ بكلام هذا العالم المخالف للحق الطعن فيه أو التنقص منه ؟

الشيخ : هذا كلام غريب ، هذا كلام غريب -معشر الأجلة - ، هذا ليس بجديد ، ليس بجديد ، لم ينزل العلماء منذ القدم يتكلمون على هذا ويقررونه .

وأضرب لكم مثلاً واحداً : أمأيتم أتباع هذه المذاهب الأربعة مثلاً ، هذا مقلد لأحمد في الفقه ، وهذا مقلد للشافعي ، وذاك مقلد لمالك ، وذاك لأبي حنيفة ، ثم استبان الدليل على خلاف مذهب إمامه ، وهل يجوز له أن يدع الدليل ويقول مذهبي كذا ؟ أسألكم ؟

السائل : لا يجوز - حفظك الله -

الشيخ : فإذا كان هذا كذلك فهكذا بقية المسائل ، إذا ظهر الدليل مع من خالف شيخك ، وكان الدليل معه صحيحاً ، واستدل له صحيح وفق القواعد ، وكان دليل شيخك ضعيفاً ، أو لا دليل معه ، أو معه الرأي والقياس ، والدليل ضده ونحو ذلك : فإنه لا يجوز لك أن تبقى مع شيخك ، وتقلد شيخك ، والنص على خلاف ما ذهب إليه .

ولعلكم تعرفون الكلمة المشهورة - فقط - ، أنا أذكر المشهور فقط ، كلمة واحدة ، كلمة الإمام

ابن القيم - رحمه الله - حينما كان يقول في المدارج - مدارج السالكين شرح منازل السائرين - لشيخ الإسلام الهروي، كان يقول: "شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه".

فإذا ظهر - معشر الأجلة - لنا جميعاً الدليل والصواب مع غير شيخنا أو شيوخنا وجب أن تتبع الدليل، وإذا نحن أخذنا بالدليل ففي الحقيقة نحن ما خالفناه؛ لأنه هو الذي ربّانا على الأخذ بالدليل، وهو الذي حذّرنا من التقليد، فما منا إلا مرادٌ ومردودٌ عليه إلا النبي - صلى الله عليه وسلم -.

فمالك، والشافعي، وأحمد، وأبو حنيفة كلهم يحتاج لهم، وغيرهم، ولا يحتاج بهم، إنما الحجة في كلام الله ورسوله، الحجة المطلقة في كلام الله ورسوله، وهؤلاء يحتاج لهم، فما وفقوا وأصابوا فيه هم وغيرهم من العلماء أخذ به، وما أخطأوا فيه فإننا نمتثل قولهم الذي أمرونا فيه بأن لا نقلد هم، "لا تقلدني ولا تقلد الشافعي ولا مالكا"، وخذ من حيث أخذوا".

ويقول أحمد - رحمه الله - أيضاً: "عجبت لِقَوْمٍ عرفوا الإسناد وصحته، يتركون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان".

ويقول: "رأي سفيان ورأي الأوزاعي كله عنده رأي، وإنما الحجة في الآثار".

فإذا استبان لك الحق أيها العبد فالواجب عليك أن تتبع الحق، وإذا لم تتبعه فقد ضللت في هذا الباب - عياذاً بالله من ذلك -، وحينما أنت تأخذ بالدليل في الحقيقة أنت المعظم لشيخك، وأنت المتبع له، لأن علماء الإسلام المحققين يذمون التقليد، ويحذرون منه، ويُروون تلاميذهم والمسلمين يرونهم على الأخذ بالدليل، ويعودونهم على اتباع الدليل، ويحثونهم على ترك التقليد، ويذمون التقليد، فأنت حينما تأخذ بالدليل إذا ظهر لك على خلاف كلام شيخك أنت الذي بررت بشيخك - بإذن الله تبارك وتعالى -.

وانظروا كلام النووي - رحمه الله - في "المجموع"، كم من مسألة قرّرها خالفت المشهور من مذهب الشافعي، صح الدليل فيها، وقد صح عنده عن الشافعي أنه قال: "إذا صح الحديث فهو مذهبي".

ويقول: "الحديث صحيح في هذه المسألة وهو مذهب الشافعي لأنه قال إذا صح الحديث فهو مذهبي".

وهذا كثير - معشر الأجابة - ، فعدم أخذنا بقول العالم ، أو بقول شيخ من شيوخنا إذا تبين لنا مرجحانه ليس يعني هذا أننا نطعن فيه - كما يقول بعض الجهمية - في هذه الأيام ، بعض الأغبياء ، يقول : مردك لجرح العالم جرح فيه ! هذا كلام باطل ، ما قاله أحد من أهل العلم ، وإنما اخترعوه ليحافظوا على قواعدهم الباطلة التي خالفوا بها العلوم الصحيحة ، القواعد الصحيحة ، المتقررة في هذا العلم ، نسأل الله التوفيق للجميع ، نعم .

السائل : أحسن الله إليك ، شيخنا - حفظك الله - ، يقول هذا السائل . .

الشيخ : لعلنا نكتفي بهذا يا شيخ عامر ف .

السائل : طيب ، الله يحفظك ، جزاك الله خيراً ، وأحسن الله إليك ، والإخوة جميعاً ، يبلغونك السلام ، حفظك الله عز وجل .

الشيخ : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وأبلغهم عنا السلام جميعاً ، وإن كانت مع أننا الآن في نقل السلام إليهم مباشراً ، فنقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأسأل الله - سبحانه وتعالى - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى - معشر الإخوة الكرام - أن يعصمنا وإياكم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يثبتنا وإياكم على الحق والهدى حتى نلقاه ، وأن يمن علينا وعليكم جميعاً بالفقه في دينه والبصيرة فيه ، وأن يثبتنا على السنة ، إنه حوادُّ كريم .

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .